

الطفلة المعدّبة

المؤلف: الدكتور/أحمد محمد زين المطاوي

التاريخ: 14/01/2019

واهم من يغلق الأبواب أمام الباحثين عن الحق.. معتقداً أنه نجح في منعهم!!

للحق أجنحة كالطير.. يطير بها ليستقر في عقول وقلوب من ينادي عليه..

هكذا هو الحق عامه.. فما بالنا بالحق في الإيمان بالله؟! الحق المطلق..

عاشت طفولتها في عذاب.. طفلة بريئة متنازعه بين قوتين: قوة أسرة ملحدة متزمنة، وقوة فطرة نقية سليمة.. أسئلة كثيرة كانت تراود ذهنها الصغير بينما موانع حصينة كانت تقبل فهما ياحكام..

حرمانها من طرح الأسئلة وحرصها على إرواء ظمئها دفعها إلى أن تلوذ بالكتب التي كانت تقرؤها سرّاً في جوف الليل بحثاً عن الله..

وعندما اشتد عودها بحثت عنه في كل الديانات وتواصلت مع معتقداتها فوجدت أخيراً ما تبحث عنه في الإسلام فاعتنقته..

إنها فلّة الفرنسية التي فرحت كثيراً بأن شرح الله صدرها للإسلام فأرادت أن تشاركنا فرحتها بإسلامها فروت لنا قصتها هذه:

ولدت وترعرعت في كنف أسرة ملحدة شديدة التزمت.. كان أفراد أسرتي يتجادبون أطراف الحديث في كل شيء إلا الدين.. تعذبت كثيراً في طفولتي ومراهقتي.. ففطرتي السليمة كانت تدفعني إلى ملاحظة ما حولي في ارتياح بينما أسرتي الملحدة كانت تمنعني من طرح أي سؤال، فعوضت عن ذلك بأن هرعت إلى الكتب التي ظلت أقرؤها ليلاً، وفي منتهى السرية حتى أجد إجابات شافية لأسئلة كثيرة كانت تدقق إلى ذهني، منها على سبيل المثال: "لم توجد اختلافات كثيرة بين الأديان؟ ولم يوجد أناس مؤمنون وآخرون غير مؤمنين؟".

كنت أصغي بانتباه شديد إلى كل مؤمن، وكانت أوجه أسئلة إلى زملاء دراستي الذين كانوا يتلقون التعليم المسيحي.. بل كنت أرغب من أعماق نفسي في أن أصبح مؤمنة مثلهم بيد أن خوفي من أفراد أسرتي جعل منها رغبة خفية أحتفظ بها لنفسي ولا أجرؤ على الجهر بها حتى لو كنت على انفراد

رغبتي الملحة في البحث عن الله بدأت تكبر معي وتزداد بمرور الأيام والأعوام.. كنت كثيراً ما أتوجّه إلى الله تعالى أملاً في أن يصفي إلى حديسي.. ومع ذلك كانت الشكوك تساورني على الدوام.. رغبتي في الإيمان، وفي معرفة الله كانت قوية ومتزايدة وتتناسب تناسباً طردياً مع عمري.. بيد أنني كنت لا أملك الادعاء بأنني أحمل الإيمان بين جوانحي

للخروج من دوامة التناقض التي كانت تتقدّم بي بين دائري الشك واليقين، بدأت أبحث في كل الأديان مع إقصائي لبعضها سواء تلك التي لم أجده فيها وضوحاً، أو تلك التي لم تدفعني إلى طرح أسئلة أخرى أكثر حصافة.. وبالتالي كان تركيزي على الأديان الثلاثة التي بحث فيها علني أجد إجابات شافية عن أسئلتي.. وبالفعل بدأت بحثي في اليهودية، ثم المسيحية، وأخيراً الإسلام.. الحقيقة استغرقت مني عملية البحث في الأديان الثلاثة سنوات عديدة بينما ظلت رغبتي الشغوفة للمعرفة والإيمان تزداد أكثر وأكثر

ولكي أصل إلى الحقيقة قررت بيني وبين نفسي تجاوز كل الآراء السخيفة والمبتذلة التي كانت تنظر إلى الإيمان باعتباره المعاذل الموضوعي للضعف بينما كان بالنسبة إلى هو القوة الحقيقة

والحق يقال، فقد كنت آنذاك -برغم أنني لم أعرف الكثير عن الإسلام بعد- لا أصادف نساء مسلمات يرتدين الحجاب، حتى أشعر بقلبي يتحقق بشدة ويستحوذ على احترام شديد غير متناه لهن؛ فمن خلاهن فقط كنت أحس بنور الإيمان ينساب إلى داخل قلبي كما كنت لا أغير انتباهاً لتلك الانتقادات اللاذعة والساخرة التي كانت توجه إليهن من أناس لا يفهمون المغزى الحقيقي للذي الذي كنّ يرتدينه

حينما بدأت بحثي في الديانتين اليهودية واليسوعية، لم أجد إجابات واضحة، بل على العكس كانت تسؤالاتي تزداد على الدوام..

بينما رغبتي الملحة في أن أصبح مؤمنة أخذت تشتد أكثر فأكثر.. عقب وصولي إلى طريق مسدود من خلال دراستي لليهودية

واليسوعية، بدأت دراسة الدين الإسلامي

برغم تزويدي السابق بالقرآن فإنني رأيت عدم الجدوى أن أستعجل قراءته بحجة أنني لم أكن أعرف بعد أسس الإسلام.. ولحل هذه المشكلة بدأت أدرس الدين الإسلامي بصورة تدريجية وأحصل على المزيد من المعلومات عنه حتى أصبح مؤهلاً لقراءة القرآن

وكنت كلما ازدادت معرفتي بالإسلام، وجدت إجابات شافية للأسئلة الملحة التي كانت تراودني منذ طفولتي وبالتالي شعرت بوضوح أكبر حول الله والإيمان □

أخيراً وبعد رحلة مضنية من البحث والتقضي حصلت على الإجابات الشافية المرضية لكل أسئلتي الملحة عن الإسلام.. وبالتالي اكتملت أمامي الأجزاء الناقصة من اللوحة البدية.. لوحة الإيمان.. حينها فقط وبعد مرور ستة أشهر من شروعي في التعلم توصلت إلى أنني أصبحت أعرف عن الإسلام ما يؤهلي لقراءة القرآن.. وبالفعل فتحت الصفحات الأولى من القرآن، فانسابت الآيات الكريمة إلى شغاف قلبي وهي تحمل تشجيعاً عذباً يدفعني بقوة وحب إلى قراءة المزيد.. حقيقة كنت أحمل القرآن بين يدي وبينتني إحساس من يحمل وليداً بفعل رقة وحلوة وطلاوة ووضاءة كلماته.. لكن وبرغم كل ذلك لم يستقر الإيمان في قلبي بعد □

وتضيف فلة وهي تتحدث بحماس عن تجربتها:

وفي ليلة الأول من تموز من عام 2001، وقفت أمام السماء المزدانة بالنجوم.. خاطبت الله بكلمات تخرج من أعماقي وتساعل: لماذا لم يستقر الإيمان في قلبي بعد على الرغم من طلبي له، والتماسي للعلم؟!

ناجيت الله بحرارة.. كنت أرتجف تأثراً أثناء نطق الكلمات التي كانت تخرج بصدق من داخل سوبياء قلبي بينما تنهمر الدموع الساخنة على وجنتي في غزارة.. وطللت أبكي وأرتعش.. ثم فجأة أحسست بشعور عجيب توصلت معه إلى قناعة تامة مفادها أن نعمة الله عز وجل قد مسنتني وأن نور الإيمان قد غمر قلبي.. منذ تلك اللحظة الفارقة أصبحت مسلمة.. وحتى الآن لا يمر علي يوم دون أنأشكر الله عز وجل على ما وهبني من نعمة الإيمان □

لا تغلقوا الأبواب في وجوه الباحثين عن الله.. لا تحرموا أبناءكم من الإيمان بالحق..

بل لا تحرموا أنفسكم من النور الذي يملأ الكون ويعنده قيمة الحياة..

سيصل الباحثون!! بكم.. بدونكم.. سيصلون.. فالله لا تحجبه الحجب..

اسأوا الله الهدية.. فالله نهتدي إلى الله □

المصدر:

اللولو، هالة صلاح الدين (2005): كيف أسلمت؟ دمشق: دار الفكر □